سنة ١٧١٦ الى سنة ١٨٢٢ وقد تلطّف الباب العالي بعد ذلك واتّفق مع الدول بتحكيم امراء من نفس البلاد كمن ذي قبل

وقد نما هذا الشعب الصغير في غضون ذلك بحسن سياسة رعاته العثمانيين وامرائه فصار لهُ اليوم في جهات مصبّ الطونة وجبال الالپ الترنسيلڤانية القدم الاعلى

فيظهر ممّا تقدّم انّهُ لأمرٌ مستوعر جدًّا ان نفرز اهل رومانية الاقدمين من الشعوب العديدة التي اختلطوا بها. بيد انّهُ لامرٌ مقرّر انّ اهل رومانية في زماننا هذا يدّعون بانّ اصلهم من قدماء الرومانيين ولعلّك ترى الفلّاح منهم يشمخ بانفه ويقول انّ نسبهُ يرتقي الى بطارقة رومية العظمى. وممّا يؤيد زعمهم تسميتهم بالرومان كسالف الرومانيين. ومنها العوائد الجارية بينهم عند الولادة والزواج والدفن تشبه كلّ الشبه عوائد الرومان الاقدمين كما وصفها لنا المؤرّخون ولهم نوعٌ من الرقص كأنهُ رقص الرومانيين بعينهِ . ومنها ايضًا ان اهل تلك البلاد ينسبون للقيصر ترايان كل ما يستعظمونهُ من الآثار القديمة الطامسة كما ينسب اهل الشام الى زينب الاخربة القديمة. بل تراهم يخترعون امورًا غريبة ليعزوها لهذا الملك الشهير فانّهم مثلًا يخبرون اولادهم بان ترايان قطع جبلًا بسيفهِ فجعل بين قطعتيهِ واديًا وهم يدعون الحجّة الفلكيّة « طريق ترايان » الى غير ذلك من الاقاصيص الملفّقة التي تدلُّ على اكرامهم لهذا القيصر العظيم (ستأتي البقية)

تاريخ فنّ الصيدلة في المشرق

للشابّ الاديب انطون افندي عرب صيدلي مدرسة باريس العليا سابقًا

الصيدلة من الفنون اللاحقة بالطب فلا يستغني عنها من تصدّى لعلاج الابدان لانّ بها يعرف الطبيب الادوية بين مفرداتها ومركّباتها ولولاها لما ميّز ما كان منها ضارًّا او نافعًا باطلًا او ناجعًا

امّا بدء تاريخها فانهُ يرتقي الى يوم قال الله فيهِ للابوين الاوّلين: « موتًا تموتان وبالاوجاع تعيشان ان تعدّيتما وصيّتي ». ومن المعلوم انّ الانسان لو دام على برّه الاصلي لما اصابهُ شيء من الامراض وما صار عرضة للآفات والعاهات وما شعر بانحلال جسمهُ وانحطاط قواهُ

ومما يؤيد ذلك انّ الله الذي اودع في النبات وغيره خواصّ عجيبة لشفاء الاجسام لم يعط الانسان وحياً يتبيّن به هذه الخواصّ مقوداً الى ذلك من ذات طبعه. بعكس الحيوان غير الناطق فانّ الله جبلهُ على هذا الوهم طبعهُ فيه منذ ولادته فترى البهيمة اذا اصابها آفةٌ او لحق بها مكروهٌ تقصد نبات البرّ تشمشمهُ حتى تجد منهُ ما وافق مزاجها فتتطيّب به فتبرأ من أمّها. امّا الانسان فانهُ لم يتّصل الى معرفة الادوية الشافية لاسقامه الّا بعد التجربة والاختبار. وعليه ترى النطاسيين من الاطبّاء لا يزالون يبحثون كلّ يوم عن ادوية جديدة من النبات والمعادن فاذا اكتشفوها أحرزوا لهم ذكرًا مخلّدًا بوجدانها. وكم من ادوية لم تتّصل اليها بعد معرفتهم سيكشفها لهم الاختبار في مستقبل الزمان

فممّا تقدّم يظهر انّ الصيدلة فنٌّ جليل لانها تبحث عن هذه الطرائق الشفائية وتسير على حسب مبادئ مقرّرة حصل عليها العلماء بالاستقراء والتجربة

والصيدلة من حيث هي فنّ نشأت في المشرق وهو مهد الجنس البشري الذي لا مندوحة لهُ عن التطبّب باصناف الادوية. ولكن ليس يسهل تعيين انتشار هذا الفنّ وعمل الحكماء وفقًا لأصوله فنكتفي بتعداد بعض الشعوب القديمة الذين علوا قدرًا وسموا شأنًا في المشرق مع ذكر نبذة من طريقتهم العلاجية

البابليّون والكلدان

اهل بابل كما لا يخفى من اقدم شعوب الارض وقد اشتهروا في القرون الغابرة باتخاذهم للنبات كادوية فعّالة. وقد جاء في الكتابات الاشوريّة بالقلم المسماري اشارات جمّة تنبئنا باقتدارهم في هذا الفنّ ومعرفتهم بخواصّ الادوية. واكثر ما كان يتعاطى الصيدلة الكهنة البابليّون يضيفون اليها اعمالًا سحريّة ليزيدوا بذلك جاههم وسلطتهم باعين الجمهور. وقد اخبر هيرودوت المؤرّخ انّ البابليين كانوا يعرضون في بعض المدن مرضاهم في الشوارع فيسرُّ بهم السابلة فيسألونهم عن دائهم واذا عرفوا لهذا الداء دواء اختبروهُ في اسقامهم او وجدوهُ ناجعًا في بعض معارفهم يفيدون عنهُ المريض ليأتي به

المصريّون

وكان للمصريين اهتمام كبير في اختيار الادوية وتركيبها. وكانوا يزعمون انّ الالهة

علّموا البشر صفات النبات وخواصها لشفاء الادواء وعليه فكان الكهنة هم المتولّون صناعة الطبّ يرتأون انّ الآلهة توحي اليهم بطرائق العلاج وقوّة النباتات. ولذلك كانوا خصّصوا كلّ صنف من النبات ببعض آلهتهم فكان اللبلاب نبات الاله اوزيريس ورعي الحمام نبات الإلهة ايزيس وهام جرّا. وكانوا يكثرون من استعمال العسل في ادويتهم ويعرفون السكنجبين (l'oxymel) ويستطبّون بالاستحمام والاحتقان ويشربون المسهلات وضروب النقوع وكانوا يحرقون نبات السُّعد (le souchet) ويتّخذون من رمادهم دواء للبرص. ومن مفرداتهم شعر الجبّار (le capillaire) والعُنصل (le scille). ومن قوانينهم الصحّية النظافة كان يوصي بها كهنتهم

ومن نبات المصريين الذي شاع عند كهنتهم استعمالهُ فعدّوهُ من النبات المقدّس اللوطوس او البشنين (Lotus Ægyptiaca) وقد اكثر القدماء من وصفهِ. وهو اصناف عديدة تختلف عن بعضها وصار اختلافها سبباً لاضطراب اقوال الكتبة والشعراء الاقدمين فيها فترى مثلاً ثرجيل وهوميروس يدعوان مراداً باسم اللوطاوس ما لا يدخل تحت حكم هذا النبات

والصواب انّ اللوطوس صنفان منهُ صنف كبير كشجر الكمثرى (الخوخ) وهو شائك وثمرهُ اذا نضج احمرّ احمراراً ناصعاً يضرب الى السواد ولهُ عصير قانئ حلو الطعم. وقد خلط البعض بينهُ وبين الزيزفون (Zizyphus rhamnus) وهما مختلفان. وهذا النوع من اللوطوس كثيراً ما يُدعى بالعربية سِدْراً ومنهُ ضروبٌ مختلفة ايضاً

امّا الصّنف الثاني الذي اكثر المصريون من اتخاذهِ فهو نبات وهو المدعوّ بالبشنين قال ابن بَيْطار في وصفهِ: «انّهُ ينبت في الماء اذا اطبق النيل على ارض مصر وهو نبات لهُ ساق شبيه بساق البقلاء وزهر ابيض شبيه بالشعر ويقال انّهُ ينبسط اذا طلعت الشمس وينقبض اذا غربت وانّ رأسهُ اذا غربت الشمس غاص في الماء واذا طلعت ظهر على وجه الماء. ورأسهُ يشبه العظيم من رؤوس الخشخاش وفي الرأس بزر شبيه بالجاورس (millet) وتجفّفهُ اهل مصر ويطبخونهُ ويعملون منهُ خبزاً ولهُ اصل شبيه بالسَّفرجلة ويؤكل نيئاً ومطبوخاً وطعمهُ مطبوخاً يشبه طعم صفرة البيض. . . وهو عندهم صنفان صنف يُسمّى بالجزيريّ (Nymphæa alba) والآخر يُسمّى العربيّ (Lotus arabica) وهو افضل عندهم واجود ويصنع من زهرهِ دهن كما يُتّخذ من

السوسن والنيلوفر ». والمحدثون من اهل مصر يدعون البشنين النباتي نوفرًا ولينوفرًا وتانوفرًا وكلُّهُ تصحيف « نيلوفر ». ويوجد منهُ شيء عند بحيرة الحولة في الشام. وكان قدماء المصريين يدخلونهُ في ادويتهم لاسيما في البرسام

انبشين العربي (Lotus arabica)

زهرة النيلوفر الرمادي
(Nuphar luteum)

زهرة النيلوفر الرمادي
(Nymphæa alba)

ومن النبات الذي عرفهُ قدماء المصريين واتخذوهُ لحاجاتهم وادويتهم الحنّاء. وقد ذكرنا في مقالة سبقت لنا خواصّ هذا النبات فلا حاجة للتكرار (راجع المشرق ١: ٩١٣)

وربّما كان يتّخذ المصريّون في علاج امراضهم وسائل غريبة وقد ذُكرت في المشرق

وصفة من هذا الجنس (راجع المشرق ١ : ٩٦١). ومما يدلُّ على تقدُّم المصريين في معرفة خواصّ النبات تركيبهم للحَنُوط الذي كانوا يحنِّطون به موتاهم وفيه يدخل عقاقير كثيرة تنبئ بحسن نظرهم وسعة اطلاعهم وكانوا اذا حنَّطوا جثث الموتى طلوها بالحنّاء.

البرانيُّون

لمَّا كان اوَّل نموّ شعب الله في ارض الفراعنة فلا غرو انهم تعلَّموا منهم ايضاً شيئاً من طرائقهم العلاجية. ويؤخذ من الاسفار الكريمة انَّ بني اسرائيل كانوا يعرفون الارز والصندل والصَّبر والبطم والقُرْفة فضلاً عن أفاويه كثيرة وعطريَّات كانوا يستعملونها في رُتبهم الدينية كاللاذن والبخور والآس والنَّرد والعَنْبة. ولا حاجة لذكر متَّهم وقد مرَّ في المشرق تعريفهُ وخواصُّهُ (١ : ١٠٧٨). والمنّ الطبيعي المجتنى من بعض الاشجار كان يُستعمل كمُسهل لطيف

الهند والصينيُّون

قد اشتهر ايضاً هذان الشعبان القديمان بمعارفهم الطبّية وجاء في كتبهم القديمة ما يُشعر بحذقهم من هذا القبيل في القرون السابقة للمسيح. الا انَّ اكثر هذه العقاقير مجهولة عندنا تختصُّ بنبات ارضهم. ويذكر بين ادوية اهل الصين والهند الافيون والدارصيني وعرق الزنجبيل والمسك والشمع وكانوا ايضاً يكثرون من اتخاذ الادوية المقوّية للمعدة كالشاي والراوند. وكانوا يتَّخذون مرارة الفيل كبرهم. ويستعملون الزاجات والاملاح كالبورق ليكحلوا بها عيون الرَّمدين

هذه نبذة في صيدلة الاقدمين من اهل الشرق اقتصرنا عليها لمعرفة احوال بلادنا اجمالاً لا تفصيلاً. والسلام

السفر العَجَب الى بلاد الذهب

للاب ابل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

فلمَّا سمع المستر نسيب من فاضل ذكر والدته يستحلفهُ اسمها ألَّا يهملهُ تحركت في قلبهِ شعائر الحبّ البنوي نحو امهِ التي كان قد تركها من زمان طويل فاحبَّ ان يعرف ما جرى لها. فسأل فاضلاً عن ضيعتهِ في لبنان فاذا هو من قرية «عين ب..» المجاورة